القراءة الهرمينوطيقية
والمنعطف التأويلي الديني للماركسية

حفصة طاهر[1]

توطئة:

إذا كان المسعى التأويلي أخذ مناحي عديدة وعرف تحولا في المفاهيم والمناهج، فنجد بعض المواقف التي تحاكم الفلسفة من الخارج وتدعو لا إلى مجاوزتها وإنما إلى نبذها والتخلي عنها سواء باسم الدين أو باسم الارتباط بالواقع الاختباري، فإننا نستطيع أن نقول أن موضوع مجاوزة الفلسفة يستقطب الاهتمام الفلسفي المعاصر، وهذا منذ ظهور الهيجلية وما أعقبها من ردود فعل.

ولعل الموقف الهيجلي ذاته الذي يأخذ التجاوز على انه إكتمال تكف الفلسفة عن طريقه عن أن تكون محبة للحكمة لتصبح معرفة مطلقة تجد تحقيقها عند هيجل ذاته، كما نجد الموقف ذاته ولكن بصبغة عكسية عند كل النزعات التي قامت ضد الفلسفة لتحاكمها سواء بمعيار التجربة الذاتية أو بمعيار البراكسيس أو بمعيار العلم، واجدة أصولها عند كييركغارد أو ماركس أو كونت. فهل هذا يعني أنه نقدا لكل أنماط الوعي السالف؟

صحيح أن الموقف الوضعي في أصوله لا يتحدث عن التجاوز وهو أقرب إلى التخلي عن الفلسفة ونبذها، إلا أننا لا ينبغي أن ننسى أن كونت ينظر إلى المرحلة الوضعية على أنها تعقب المرحلة الميتافيزيقية وتفترضها، كما أن الموقف الوجودي في أصوله أقرب إلى التمرد على الشكل الذي إتخذته الفلسفة عند هيجل منه إلى مجاوزة الفلسفة ذاتها وهو بالأولى تمرد على الإغراق في النظر

[1] جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر

لبنـــاء الأنساق، ودعوة إلى إقامة الشذرات والفتات الفلسفي[2]. لكننا لا نستطيع أن نقول الشيء ذاته عن موقف ماركس الذي نجد في مؤلفات شبابه دعـــوة صريحة إلى مجاوزة الفلسفة كتحقيق ذاتي تلغي الفلسفة بمقتضاه ذاتها لتصبح معانقة الفلسفة للعالم عناق العالم للفلسفة وتحقيقا لهاته.

1- الماركسية من زوايا متعددة:

إذا كنا سنحاول الوقوف في هـــذا المبحث عند الموقف الماركسي، فذلك لأننا نعتبر أن كل المواقف المعاصرة ليست في نهاية الأمر إلا تجاوزا لشكـــل المجاوزة الذي أرسته الماركسية وحوارا ضمنيا أو صريحا مع ماركس في مؤلفات شبابه أو على الأصح لقراءة معينة لتلك المؤلفات كي نتبين الدواعي التي أخذت بالفكر المعاصر إلى إقامة منظومة فكريـــة وكانت سببا في قراءة الموروث الماركسي ومجاوزة فعلية للفلسفة وعدم الإكتفاء باتهامها من الخارج. وبهذا يمكن أن نطرح التساؤل الآتي، هل الفلسفة هي إيديولوجيا فعالة في العمـــل الهرمينوطيقي؟

يرى ماركس الشاب أن الفلسفة توجد في وضع متناقض، فإذا كانت مهمتها أن تفضح التشويهات التي يتعرض لها الإنسان فعليها أولا وقبل كل شيء أن تفضح التشويـــه الفكري، أن تهاجم الأشكال التأملية التي تتخذها هي "فمهمة التاريخ بعـــد زوال عالم الحقيقة هي أن يقيم حقيقة هذا العالم، فبعد أن يجري فضح الشكل المقدس للاستلاب الذاتي للإنسان فان مهمة الفلسفة التي تخدم التاريخ ستكون بالدرجة الأولى فضح الاستلاب الـذاتي في أشكاله غير المقدســـة"[3].

---

[2]- عبد السلام بنعبد العالي، "أسس الفكر الفلسفي المعاصر- مجاوزة الميتافيزيقا"، دار توبيقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1991، ص 11-12.

[3]- بنعبد العالي، المرجع السابق، ص 12.

لقد رأى كارل ماركس [Karl Marx[4]] في أطروحاته حول فيورباخ[1804-1872] Ludwig Feuerbach بأن العيب الرئيسي لكل مادية قائمة حتى الآن - بما في ذلك مادية فيورباخ – هو أن الشيء و الواقع المحسوس لا تدرك إلا على شكل موضوع أو تأمل وليس على أساس أنها فعالية بشرية حسية، على أنها ممارسة، وليس على صورة ذاتية ولذلك فان المثالية طورت الجانب الفعال على أساس تجريدي متناقضة في ذلك مع المادية، لأن المثالية لا تقر بالفاعلية الواقعية المحسوسة كما هي فعلا، ويرمي فيورباخ إلى الموضوعات الحسية التي تختلف فعلا عن الموضوعات الفكرية، ولكنه لا يفهم الفعالية البشرية نفسها على أنها فعالية موضوعية، ولذا فان في كتاب - جوهر المسيحية- ينظر إلى الموقف النظري على أنه الموقف الإنساني الحقيقي، بينما لا ينظر إلى

[4] - ماركس كارل مفكر إقتصادي وسياسي ألماني ولد في 05 ماي سنة 1818 في مدينة تريـر Trier (على نهر الموزيل على حدود ألمانيا الغربية مع دوقية اللكسمبورغ)، وكان أبوه محاميا يهوديا، وتعلم القانون في بون وبرلين، لكنه إهتم بدراسة فلسفة هيجل، وتأثر بمؤلفات فويرباخ، وتوفي ماركس في 14 مارس سنة 1883 في لندن، ودفن في مقبرة هايجيت هناك. ولماركس وانجلز مذهب اقتصادي سياسي اديولوجي تعاونا معا على تأسيسه وبنائه، عرف بالماركسية. على أن من الملاحظ أن الصفة: "ماركسي"، والاسم: "ماركسية" لم يصدرا عن ماركس نفسه وأصحابه، وإنما عن خصومه من أنصار باكونين لما أن دب النزاع بين الفريقين، وبهذا كان اللفظ "ماركس" و"ماركسية" على لسان وبقلم أنصار باكونين منطويا على الذم، ولما استعمل هذا اللفظ: "ماركسية" واتسع انتشاره في أوربا في مستهل القرن العشرين اتخذ عدة مفهومات متباينة. فكان يعني في نظر علماء الاقتصاد "نظرية في القيمة" ووصف المؤرخ الانجليزي J.Dahlberg- Acton الجزء الأول من كتاب "رأس المال" بأنه "قرآن الاشتراكين الجدد"، كما ينعت بينرند راسل كتاب "رأس المال" بأنه "إنجيل مشاعر الانتقام البروليتارية"، ويقول برنردشو بلهجته الساخرة:"الماركسية هي مثل المورمونية والفاشية والامبريالية وكل المذاهب التي تريد في الواقع أن تكون كاثوليكية (جامعة) النزعة". فأما H-Schack يرى أن الماركسية تتميز بأربع علامات: 1- فهي اديولوجيا البروليتاريا، 2- وهي تقوم على التجميع Kollektivismus، وهي اشتراكية علمية، وهي اشتراكية ذات نزعة إنسانية. أنظر/ عبد الرحمن بدوي، "موسوعة الفلسفة"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج2، ط1، 1984، ص418-419. بتصرف.

الممـارسة إلا في منظرها الشحيح ولذلك لم يتفهم أهمية الفعـالية الثورية للعملية النقديــة[5].

وإن الإهتمام بالفعالية praxis المشتقة مـن الفعل أو الفعالية لذا نجد بعض الهيجليين وفي مقـدمتهـم ماركس يهتم بالفعالية، وذلك بقدر ما يكون العمل الجماعي، التقني والاقتصادي، الاجتماعي، هو الأساس والحكم في الفكر النظري-الإيديولوجيـا، ويؤول تعارض الفعالية والفكرويـة (الإيديولوجيـا) عند البعض منهم إلى أن يكـون التعـارض بين العلـم والتقنية وبين الفلسفــة[6].

ولعل العقيدة الهيجلية كمصدر لقضـايا و مسائل جديدة ستخصب أبرز العقول في المرحلة العصبـة التي ستعقب إنطلاقا من عام 1840 تقريبا و هي مرحلة الإنشاءات النظرية الكبرى وإن الأثر الهيجلي يتجلى نفيا عند كيركجارد واستجابته عنـد نيتشه و يتم عنـد كارل ماركس مـن خـلال الثورات والقطيعة، حيث تختلف وظيفة الفلسفة عند نيتشه عما كانت عليه في الخطاب الهيجلي فهي لم تعد تعطي اهتمام للموروث الثقافي للإنسانية ولا جعل الإنسان الفرد معبرا لتقـدم محتوم، إنمـا ذات قيمة تمردية وهـذا هـو الحـال بالنسبة لماركس أيضا يجب الرجوع إلى هيجل، حتى وإن كـان التسلسل من هيجل إلى ماركس لا يبـدوا سهلا. فإذا أمعنـا إلى ما أبدعته الفلسفة المثالية الألمانية لهيجل يتجلى لنا بجلاء النفي لكل أنمـاط الوعي. فماركس استطاع أن يتخلص من الفكر الهيجلي بنقده لفلسفة الحقوق لأنها أشمـل وأرفع ما وصــل إليــه هيجل من خلال عرضه للدولة العصرية وللواقع المرتبط بهـا.

إن نقـد الفلسفة الألمانية حول الدولة والحقوق الذي قدم هيغـل [1831-1770] Hegel أشده تماسكـا ومنطقية وسموا وغنى، هـو في نفس

---

[5]- كارل ماركس، "الماديـــة التاريخية"، تر: حنـا عيـــــور، دار الفـارابي- بيروت (لبنـــان)، 1975، ص 11.

[6] - أندريـه لالاند، "موسوعة لالاند الفلسفية"، تر: احمد خليل احمد، منشورات عويـدات، م2، ط2، 2001، ص 1127.

الوقت التحليل النقـدي للدولة العصرية وللواقع المرتبط بهـا، النفي الحازم لكـل نمط سابق من الوعي السياسي والحقوقي والألماني الوعي الذي تؤلف فلسفة الحقوق التأملية أرفع واشمل تعبير عنه، تعبير بلغ مستوى العلم ففي ألمانيـا فقـط كان ممكنا أن تولد فلسفة الحق التأملية، هذا الأسلوب المجرد والمتعالي في التفكير حول الدولة العصرية التي يظل واقعهـا ما ورائيا (حتى وإن كان ذلك الماوراء يقع فقط ما وراء نهر الرين)، وبعكس ذلك فان الايديولوجيا الألمـانية للدولة العصريـة التي تغفـل الإنسـان الواقعي، لم تكـن ممكنة إلا بقدر ما تغفـل الـدولة العصريـة بالـذات إنسـان الواقع، أولا لا ترضى الإنسان الكلي إلا بصورة وهمية في السياسة، فكـر الألمان ما فعلته الشعوب الأخرى، لقد كانت ألمـانيا وعيهم المعنوي النظري، إن التجريد وتعالي الفكر قد سـار جنبـا إلى جنب مع ضيق أفـق الواقـع الألماني وابتذالـه، وإذا كان الوضع القائم لنظـام الدولة الألماني يعبر جيـدا عن النظام القديم في اكتماله – وهو الشوكة المغروسة في أعمق أعماق جسم الدولة العصريـة – فان الوضع القائم لعلم الدولة الألماني يعبر عـن الدولة العصرية في عدم اكتمالها: يعبر عن تعفن الجسم ذاتـــه[7].

ف "الهرمينوطيقا" تؤكد في هذا السياق على ضرورة تعديل داخلي للفلسفة التـأمليـة نكتشف من خلاله إضطرار هــذه الفلسفـة إلى أن تكـون معـارضة لفلسفــة الشعـور[8].

وإن نقد الفلسفة التأملية للحقوق، ولو بمجرد كونهـا من حيث طبيعتهـا خصما لنمط الوعي السياسي الألماني السالف لا يبحث في ذاته عن غرضه هو ذاته، بل إنه يفضي إلى مهمات لا حل لهـا إلا وسيلة واحــدة هي: الممـارسة [9].

---

[7]- كارل ماركس وفريدريك انجلز، "حـول الديــن"، تر: زهير حكيـــم، دار الطليعة للطبـاعة والنشر والتوزيع، بيروت (لبنان)، ط1، 1984، ص 39.

[8] - نبيهــة قـارة، "الفلسفـة والتـــأويــل"، دار الطليعـــــة ، بيـــــروت (لبنـــــــان)، ط1، 1998، ص 15.

[9] - ماركس وانجلز، "حول الدين"، ص39.

"فالهرمينوطيقا تمثل في آن واحد تحقيقا وتحولا جذريا لبرنامج الفلسفة التأملية ذاته"[10]. ويتعرض بول ريكور في العديد من الأحيان لخيارات الفلسفة التي تسمح بانفتاح الفلسفة التأملية على الهرمينوطيقا، أي شروط هذا الانفتاح الذي يفترض أن الفلسفة التأملية تتسم بمرونة قادرة على تحمل تغيرات ضخمة.

إلا أن مجيء كارل ماركس يعد بمثابة نقلة نوعية بعيدة في المجال المعرفي إذ حطم ماركس أسس الفلسفة المثالية طارحا ضرورة تفسير قضايا وردها إلى البنى الاقتصادية والاجتماعية على ضوء نظرية المادية التاريخية ولكن ليس الاقتصار وحده يحي الإنسان لذا لم تصمد الماركسية أمام تيارات الفكر الأخرى.

ويمكننا أن نستشهد بما قاله كارل ماركس: "هل تستطيع ألمانيا التوصل إلى ممارسة على ارتفاع المبادئ، أي إلى ثورة لا ترفع ألمانيا إلى المستوى الرسمي للشعوب العصرية وحسب، بل أيضا إلى المستوى الإنساني العالي الذي سيكون مستقبل هذه الشعوب المباشرة على الأرجح، إن **سلاح** النقد لا يمكن أن يحل محل نقد السلاح، القوة المادية لا يمكن القضاء عليها إلا بالقوة المادية، لكن النظرية تغدو هي أيضا قوة مادية حين تستحوذ على الجماهير، تكون النظرية قادرة على الاستحواذ على الجماهير عندما تقيم براهينها على مثال الإنسان، وهي تقوم بعمليات برهنة على مثال الإنسان حالما تصير جذرية، والجذري هو إمساك الأشياء من جذورها، لكن الجذر بالنسبة للإنسان هو الإنسان ذاته، إن البرهان الجلي على جذرية النظرية الألمانية وبالتالي على حيويتها العملية، هو أنها تتخذ كنقطة انطلاق الإلغاء الحازم والايجابي

[10] - قارة، مرجع سبق ذكره، ص 22.

للدين؛ إن نقد الديـــن يـؤول إلى هــذا التعليم: إن الإنسان هو الكـائن الأسمى بالنسبة للإنســان، أي إلى الأمــر القطعي »[11].

وإن التحول التأويلي لفلسفة الديـــن، أي إن النظر في الديـــن يمثل رهانا فلسفيا يحـــدد موقفـا تجاه الظاهرة الدينية خاصيته أن ينزع إلى تأويلها كواقعة من وقائع الشعور وإبـراز صيرورتهـا أي الكشف عن معقوليتهـا الفلسفية البحتــة[12]. وعليه، يقـول ماركس: « حتى تاريخنا فان للإنعتـاق النظري بالنسبة لألمانيـا مدلولا عمليـا بنوع خاص، إن ماضي ألمانيا الثوري هو في الواقع نظري، انه الإصلاح الديني البروتستانتي La Reforme وكما بدت الثورة في الماضي في دمـــــاغ الراهب، تبدأ الآن في دمـــــاغ الفيلسوف »[13].

إن التفكير في الدين كرهـان فلسفي يدعونا إلى إعتماد عمل التفسير وعمل الفهم معـا، هذا التضـامن بين التفسير والفهـــم يمثـل عمـــــاد التحـول التـأويلي لفلسفـــة الديـن.

إذا كان المسعى التأويلي قـــد أبى إلا أن يكون مصونا عبر مسار حركية القرون، فان آبـاء الكنيسة وأيضا قسما وافرا من اللاهوتيين والشراح القروسطيين (تصغير لكلمة القرون الوسطى) عندما ركـزوا جهودهم حول معاني الكتابة المقدسة، كان ذلك لا يتعدى فضاء الإيمان دومـا، أما عصر الإصلاح صار التأمل في معنى الكتابة المقدسة حقيقة مشتبهـا بهـا ومع ذلك لم يشأ (مارتن لوثـر[14]) الذي رفض بثبات الشرح التمثيلي للقرون السابقة مدافعا عن المعنى

---

[11] - ماركس وأنجلز، "حول الدين"، ص 39-40.

[12] - قـارة ، مرجـع سبـــق ذكـــره، ص 64.

[13] - ماركس وانجلز، "حول الـدين" ، ص 40.

[14] - مارتن لوثر- Martin Luther – [1483-1546] : راهب أغسطي ألماني ومصلح ديني ألمـاني أستـاذ الفلسفـة بجامعة D'Erfurt دخل عنـــد الاقستيين إلى augristin بعد رحلته إلى رومـا سنة 1510م. غـادر مدرسة الرهبـان D'Erfurt إلى Wittenberg أين عمل بها أستاذ جامعيا وذلك ابتداء من سنة 1510 حيث انصب عمله في بدايـة الأمر على تعليقه لرسالة التقوية للأب بول Saint Paul الذي كان عليه أن يجلب ويدعوا لمذهبه من اجل النفاذ إلى عالم الإيمان وفق معتقده، وفي سنة 1517 علق على

الحرفي، ولا معرفا بـ: التأويلية الجديدة، بل هم هو الآخر بالإخلاص أكثر اقتصارا على مقتضيات الإيمان[15]. وهكذا يكون قد طغى في مبدأ الجانب التأويلي الذي قد يتأتى من الخارج حسب القواعد المستنبطة من الفلسفة مثلا. ومن هاهنا كان الشيء الذي ابتغاه هو أن تكون مبادئ العملية التأويلية (Herméneutique)معطاة من قبل الكتابة المقدسة نفسها.

ضد هذا التأمل الذي تغرق فيه الفلسفة ستقيم الأطروحات حول فيورباخ مفهوم البراكسيس لتثبت أن الحياة الاجتماعية عمل وممارسة، وأن طريق القضاء على أوهام التأمل هو وعي تلك الممارسة ومعرفة الحياة الاجتماعية، هذا ما سيلح عليه مخطوط الايديولوجيا الألمانية، " فحينما ينقطع التأمل وتظهر الحياة الواقعية تبدأ المعرفة الايجابية ويشرع عرض الفعالية العملية ومجرى التطور الفعلي للبشر، فعندما تنقطع العبارات الجوفاء حول الوعي يكون على المعرفة الفعلية أن تأخذ مكانها وبمجرد ما تعرض الفلسفة الواقع فإنها تفقد ذلك الميدان الذي تتمتع فيه بوجود مستقل"[16]. لذا فان هذا المخطوط سيتجه مباشرة لربط جميع الأشكال النظرية بالمصالح الاجتماعية وتقسيم العمل وتوزيع الثروات، ليتساءل عن العلاقة التي تربط الانتقاد بالعالم المادي وليخلص إلى أن الفلسفة شكل من أشكال الإيديولوجيا.

أبواب الصرح Wittenberg خمس وتسعون رسالة أين أنكر تساهل البيع التي سجلت بداية الإصلاح لا الهجوم J.Eck إلى Leipzig بل بالعكس نجده في سنة 1520 ينشر بيانا موجها إلى شرفاء أهل المسيحية بالنسبة للأمة الألمانية، ثم بعدها مهد أسر البابليين وكذا حرية المسيحيين وفيه راح يؤكد سلطة تهتم أساسا بالمذهب الذي له علاقة بالجانب الإيماني.

[15] - مخطار لزعر، "التأويلية - من الرواية إلى الدراية- مبادئ لتأصيل البحث التأويلي العربي"، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط1، 2007،، ص 34-35.

[16]- بنعبد العالي، "أسس الفكر الفلسفي المعاصر"، ص 13-14.

يشكل مخطوط الإيديولوجيا الألمانية إذن خلاصة الموقف، ففيه كما سيقول انجلز فيما بعد حاول هو وماركس تصفية الحساب مع وعيهما الفلسفي، الفلسفة شكل من الأشكال الإيديولوجية وهي ككل إيديولوجيا.

أ - وهم: وهذا الوهم لا يجد تفسيره في ذاته، بل في الشروط المادية للفعالية المادية.

ب - أنها لغة الحياة الواقعية، فهي إذن وهم معكوس مقلوب لأنها وليدة عالم معكوس.

الفلسفة إذا تأويل للعالم ولغة له وليست تأويلا لتأويل.

ج - إذا كانت الإيديولوجيا امتدادا مقلوبا لعلاقات البشر الفعلية، وإذا كانت الأوهام تنتج عن حياة البشر المادية فان الأشكال الإيديولوجية لا تتمتع بأي استقلال ذاتي وهذا معناه أن الإيديولوجيا لا تملك تاريخا، وإن تاريخها يتم خارجا عنها، بهذا المعنى لا مبررا لتأريخ الفلسفة.

د - إذا كانت الفلسفة بما هي إيديولوجيا لا تملك تاريخا، ولا تتمتع بأي استقلال ذاتي، فهي إذن لا تملك أية وظيفة، إنها لا تساهم في تفسير العالم وإنما في تغيير تفسير العالم.

إن الانتقادات التي قام بها ماركس في جل أبحاثة العلمية كشفت عن إمكانية تقويض الفلسفات التأملية وكشف محدوديتها باستخدامه القراءة الجدلية حول النصوص الفكرية والأفكار الفلسفية المعاصرة له أو السابقة عليه قادته إلى اكتشاف جديد، يعني هذا أنها التجربة التأويلية ذات الطابع النقدي التي ميزت فكر ماركس وجعلته يتوصل إلى كشوفاته المتقدمة وإصابته العلمية في حقول الفكر والسياسة والفلسفة والاقتصاد والتاريخ والأدب وان اعتبار

الفلسفة ايديولوجيا فعالة يعني ذلك أن كتاب الايديولوجيا الألمانية نظرة انعكاسية عن الوعي.

2- إرتباطية الفكر بالفعل أو الفعالية: [البراكسيس في الماركسية]

إن الاختلاف الرئيسي الذي يزيد من تسليط الضوء واغتراب في الفهم هو ذلك الاختلاف في المسعى وكيفية إظهار ذلك المعنى الرئيسي لما كانت تسعى إليه الماركسية كما فهمها ماركس وحددها، هذا الاختلاف في طرح مسألة النظرية وارتباطها بالتطبيق أصبح يواجه العديد من الأحزاب السياسية والتنظيمات العمالية، حتى كاد البعض أن ينعتها بالعقيدة في حين يذهب العديد من المذاهب (الراديكالية والتحريفية والدوغمائية ...الخ) بتشويه حقيقة الماركسية وإبعادها عن الأصل، هذا التشويه يرجع أصله إلى عدم فهم الماركسية لأنها تجمع بين مفهومين - النظرية والتطبيق- وهذا ما زاد من تعقيدها وسوء فهمها، فأصبحت تأويلات الماركسية تكاد لا تتشابه غير أن المسألة التي طرحها ماركس هي واحدة في نظر الجميع. وعليه: فماذا نعني بـ هرمينوطيقا البراكسيس؟ وهل الماركسية هي فلسفة البراكسيس ؟ وما هي نظرة المنظرين والفلاسفة إلى ذلك؟

إن هيرمينوطيقا البراكسيس تعني الممارسة الإنسانية الواقعية والتقاؤها بإتيقا التحرر المطابقة للمسار الذي ينزع إلى الحرية انطلاقا من العبودية، وإن العلاقة الأصلية بين القول والفعل الذي هو بمثابة نص قابل للتأويل يدعو إلى البحث عن معنى الفعل من خلال المجهود المبذول لتحقيق الحرية[17].

بيد أن ارتباط الفكر بالفعل أو ارتباط النظرية بالتطبيق أصطلح عليها في لغة الفلسفة كلمة البراكسيس praxis، وأصل الكلمة يوناني يقصد بها في الأصل الفعل بذاته، وأطلقها أرسطو على النشاط العقلي القائم بذاته، أي النشاط العقلي الصرف تمييزا عن النشاط الذي يراد به صنع شيء مستقل أو

[17] - قارة، مرجع سبق ذكره، ص74.

منفصل عن صانعه والذي أطلق عليه كلمة البواسية poiesis التي اشتقت منها كلمة - بواتيه - التي تعني الصنع أو العمل المبدع الخلاق ومن هذه اشتقت كلمة بويتري poetry التي تعني الشعر الذي اعتبره اليونان صنعة فنية متميزة عن الصناعات اليدوية، واعتبر اليونان البراكسية أعلى مقاما من البواسية وعليه أجازوا شغيلة الفكر في المقام العالي من منزلة الحرفيين الصناع[18].

ويمكن أن يأخذ مصطلح البراكسيس في الفلسفة الغربية الفعل من أجل التغيير، ولها في الماركسية مفهوم ديالكتيكي يعني في الاستخدام الفلسفي النشاط الفكري المتصل بالنشاط الفعلي الذي لا يمكنه ولا يجدي به نفعا ذاتيا مباشرا وإنما المقصود به التغيير الإجتماعي الذي له فائدة، فالإنسان في هذه البراكسية بهذا المفهوم لا يبدل الأشياء وإنما يبدل نفسه من خلال تبدل الأشياء، والبراكسية على هذا الفهم تكون في النظرية الماركسية أساس مصطلح المعرفة والتاريخ والحضارة، فالمعرفة لا يكون لها أهمية إلا عندما تنحى نحو وعي فعال يستطيع أن يبدل الواقع وتتطور من واقع التجربة والتطبيق والتاريخ والحضارة هما بهذا الفهم حصيلتا نشاط الإنسان الذي لم يصنع ما صنعه التاريخ ولم يرقى ما وصله في الحضارة إلا بالفكر المرتبط بالعمل، والبراكسية عند ماركس هي غاية الإدراك ومعيار الصواب لذا تعتبر الماركسية - فلسفة البراكسية[19].

في مثل هذا السياق تتجلى الهرمينوطيقا كـ"هرمينوطيقا البراكسيس" وهي على ما يبدو تستجيب لحاجة تعتري الإنسان المعاصر، إذ ليس من باب الصدفة أن تبدوا الفلسفة اليوم في العديد من تعابيرها كهرمينوطيقا حتى في حالة رفضها الاضطلاع بمثل تلك التسمية، إن الإنسان يعيش أزمة سوء فهم

---

[18] - Hook Sidney, "Towards The Understanding of Karl Marx", Victor Gollanz, Ltd. London 1933.p 32

[19] - Lewis John, "The Marxim of Karl Marx" , Lawrence and wis hart, London, 1972.pp 248. 249

بتعبير شلايرماخر، أزمة يبدوا من خلالها المعنى موزعا بين الماضي والحاضر، بين التقليد والتجديد، ومهددا بالإندثار بحكم اندماجه في الإمتثالية (الميل إلى التقليد بالأعراف المقررة)، وابتذال العودة الأبدية إلى المماثل[20].

والواقع الجديد الذي طرحه لينين في الوقت الحاضر حيث يقول بمناسبة انتصار الاشتراكية التام بالنسبة لثورتنا هو ضرورة اللجوء في قضايا البناء الاقتصادي الجذري إلى طرائق العمل الإصلاحية التدريجية القائمة على الاحتراس واللف والدوران، إن هذا الجديد يثير جملة من الأسئلة والارتباكات والشكوك سواء منها النظرية أم العملية[21].

كما يطرح لينين في مسألة النظرية أسئلة حول كيف نفسر الانتقال بعد سلسلة من أكثر الأعمال ثورية إلى أعمال إصلاحية فوق العادة في الميدان نفسه وفي ظروف سير الثورة المظفر العام، مأخوذة بمجملها ؟ ألا يوجد ثمة تخل عن المواقع أو الاعتراف بالإفلاس أو شيء مماثل؟ إن أعدائنا ابتداء من الرجعيين الطراز شبه الإقطاعي حتى المناشفة أو غيرهم من فرسان الأممية الثانية والنصف يقولون بالطبع إنه يوجد فلأنهم أعداء يطلقون تصاريح من هذا النوع بذريعة وبلا ذريعة[22].

(فإذا اعتبرنا الماركسية كما بينها مؤسسوها بأنها نظرية فيجب العمل على فهم المراد من النظرية في الماركسية غير ما نقصد بها في علوم الطبيعة وفي العلوم البحتة، إذ من الواجب في هذه العلوم أن تثبت النظرية قاعدة ثابتة تكون أساسا لأحكام يمكن الإعتماد والبناء عليها وهو ما لا يوجد في نظرية الماركسية التي تلازم الأحكام فيها واقعا متغيرا وإذا سلمنا بالوجهة الثانية التي ظهرت وتقررت في قول ماركس وانجلز من أن الماركسية دليل عمل وضح

---

[20] - قارة، مرجع سبق ذكره، ص75.

[21] - لينين، "مقالات وخطابات لمناسبة أعياد ثورة أكتوبر"، تر: إلياس شاهين، دار التقدم موسكو الاتحاد السوفييتي ، 1977،ص 77.

[22] - المرجع نفسه، ص 77-78.

أنجلز بأن الماركسية هي التي تفسـر عملية تطور ونشوء المجتمع، مما لاحظناه أن الحقيقة في تعريفها لا يقع على المضمون والنتائج بقدر ما يقع على الأصول أو المنهج المعتمد في استنباط النتائج، وهذا بالتأكيد ما تنبه له بعض الماركسيين وفي مقدمتهم لوكاتش جورج [Georg Lucacs[23]] وحملهم في القول بأن الماركسية ليست أحكامها المتغيرة، بل طريقتها في الوصول إلى هذه الأحكام ويوضح جورج لوكاتش هذا الزعم فيقول: «لو فرضنا جدلا أن البحث العلمي الحديث نقض كل تعاليم ماركس فسيكون مع ذلك في استطاعة أي ماركسي ملتزم أن يعترف دون تردد كل ما أثبت العلم صحته ويرفض من أراء ماركس كل ما أثبت العلم خطأه ومع ذلك لا يتخلى عن ماركسيته لحظة واحدة، وذلك لأن الماركسية لا تشترط التسليم دون نقد وقناعة بها أسفرت عنه تحقيقات ماركس وبما توصل إليه من الآراء ولا تفرض القبول بتفسيرها أو تأويلها وكأنها أحكام كتاب منزل، إذ أن المنبع في الماركسية هو الالتزام بمنهجها واعتبار الديالكتيك هو الحقيقة الأساسية في بلوغ الصرامة والحقائق»[24].

إن علينا أن نفرق بين الماركسية كحقيقة لم يعد في الإمكان تجاوزها و بين المساهمة الفكرية والنظرية في إنتاج الفكر"الماركسي" الذي قد يكون ماركسيا فعلا و قد يكون مجرد فكر منسوب إلى الماركسية، وهو في الواقع لا علاقة له بالماركسية لا يطورها ولا يضيف إليها بقدر ما يعرقل تطورها و يتحول إلى عائق في طريقها.

إن الفلسفة لم تكن hyperpratique (فرط الممارسة) إلا في المعنى الذي حلقت فيه فوق التطبيق العملي[25].

---

[23]- ولد في بودابست (المجر) عام 1885 وتوفي فيها في 1971، فيلسوف ومفكر ماركسي، ناقد أدبي اهتم بعلم الجمال والفن، من أهم مؤلفاته: الروح والأشكال، دراسات في الواقعية.

[24]- Althusser, Luis, "Reading Capital", translated by Ben Brewster, Western printing services Ltd. Bristol. 1970 pp 17-18.

[25] - JEAN-YUES CALVEZ, "Pensée de Karl Marx", éditions Du seuil, paris vi, Sixième édition, 1956, p152.

غير أن مخطوطات 1844 والرسائل العلمية حول فيورباخ، وفي العائلة المقدسة وخاصة حول الفكر الألماني (التي ألفها ماركس مع أنجلز في 1845- 1846) يظهر فيها بصورة جلية مفهوم التطبيق العملي (praxis)(...)، وإن تفسيرات العالم الثنائية المادية والمثالية، كانت تجد صعوبة في مسألة التطبيق العملي الثوري[26].

بهذا المعنى أصبح للفلسفة في لغة البراكسيس (التطبيق العملي) أهمية بالغة ولعل الماركسية لعبت الدور الأساسي في وضع النظرية وإرتباطها بالتطبيق مما جعلت الطابع الفلسفي يأخذ أبعادا مختلفة خاصة بارتباطها بفعل الممارسة، ولعل لينين كان له الدور الحاسم في إرساء مفاهيم الماركسية وإستطاع أن يؤسس نموذج لهذا التطبيق العملي.

إن آخر ما وضعه ماركس في كتابه "رأس المال" وهو آخر أعماله الفكرية هو العمل على الأخذ بتطبيقه للماركسية في حالة من حالات تطور ونشوء مجتمع واحد، وفي مرحلة واحدة من مراحل الملكية الخاصة هو مجتمع البرجوازية في مكان محدد من العالم أي غربي أوربا، وقد لاحظ وبين ماركس بأن البرجوازية ظهرت في أوربا الغربية لتباين معالم لم تظهر في أماكن أخرى، كما يزيد في تأكيده بأن هذه المنطقة موطن الإقطاع الذي أنتج النظام البرجوازي، ورأى أن كل ما وصل إليه من أراء وأحكام بسبب الإستقصاء ولا يمكن أن تأخذ بوصفها أحكاما عامة يراد منها التطبيق في أماكن أخرى أو زمن آخر وبدون أخذ ظروف - زمان ومكان- تطبيقهما ولا بد من تحقق الشروط لذلك التطبيق[27].

إن إستكشاف بعض مجالات تدخل الهرمينوطيقا، بفضل تحليل يبرز ويبين كيف أنها تحدث تحولا في معالجة بعض المسائل الفلسفية تحولا

---

[26] - Althusser, "reading capital", op cit, pp 105-106.

[27]- Henri Lefebvre,"sociologie de Marx", presses universitaires de France - saint germain, paris, Deuxième édition revue, 1968, p 24.

ناتجا عن النظرة المتضمنة في الفلسفة التأويلية باعتبارها ذات الصبغة العامة للهرمينوطيقا كنظرية في التأويل وكرؤية فلسفية للإهتمام ببعض النماذج العينية، ولعل هرمينوطيقا البراكسيس هي من بين تلك النماذج التي كانت الأساس الذي قامت عليه رؤية ماركس الفلسفية وبناء أطروحاته.

3- هرمينوطيقا النظرية و لغة التطبيق:

إن الحقل الماركسي المنبثق من النزعة المادية التي أثرت في أعمال ماركس وجعلت من هذا الفهم الجديد الذي يرتكز على أسس علمية وفلسفية وفنية له ميدان نظري والأخر تطبيقي، ولعل هذه الازدواجية (النظرية/التطبيق) أظهرت وصيغت بعد موت ماركس مبادئ ومفاهيم بين عدة نزعات منها المؤيدة لجوهر الماركسية والتيار المخالف لتعاليم ومفاهيم الماركسية، هذا التحريف لفكرة الماركسية أنتج صراعا على المستوى الفكري والعقائدي والسياسي، ولعل إشكالية الماركسية أصبحت ردحا من الزمن لها دلالة هرمينوطيقية، فأي فهم وقراءة جديدة للمسعى الماركسي ينتج تأويل جديد وفهم جديد.

إن أفكار ماركس منذ أعلنها على نطاق واسع في (البيان[28]) لأول مرة قوة ضخمة في كشف الأحداث البشرية، وهو ما كان يقصده من وراء هذه الأفكار، ومهما إلتزم أتباعه في إرجاع هذه الأفكار إلى قوة أسلوب الإنتاج في التشكيل ومهما أظهروا بمهارة إتفاقها مع حقائق التاريخ فإننا نعلم وهم يعلمون كذلك، إن تعاليم ماركس كانت لها حياة خاصة وأنها تتفق مع ضروريات الناس الباطنية مثلما تتفق مع الحقائق الخارجية للأحداث، وكان تأثيرها قويا على

[28] - المقصود [البيان الشيوعي] - أو المانيفستو – الذي كتبه ماركس وانجلز بالألمانية ونشر بالانجليزية لأول مرة في عام 1850، ويضم تعاليم الماركسية. (المترجم)

جميع ضروب نشاط الناس، ولم يقتصر على النشاط المتصل بإنتاج وتوزيع الأشياء الضرورية لوجود الإنسان[29].

وعمل أنجلز (بعد وفاة ماركس) بالقيام على بلورة أفكار تبعد الدوغمائية على مسار الماركسية لأنها تختلف عنها في الصيغة والمعنى والمبنى باختلاف أفق المكان والزمان وإن الماركسية ليست أكثر من دليل وتفسير لعملية التحول الإجتماعي من فترة لأخرى لا يمكن أن تصاغ بنصوص قطعية تعاد حفظها عن ظهر قلب وتردد بطريقة آلية - ميكانيكية[30].

وإذا سلمنا بأن الماركسية ليست دوغمائية وأحكامها تختلف باختلاف الأحوال، فكيف يمكن أن نميزها ونحددها؟ " لقد أكد كل من ماركس وانجلز بأنها نظرية وهذا ما نجده في قولهم أن نظريتنا ليست دوغما بل هي دليل عمل"[31].

إن ما يخص بالنظرية في التصنيف الأرسطي بأن الميتافيزيقا تعد الرياضيات والفيزياء واللاهوت علوما نظرية في مقابل العلوم العملية والشعرية حيث يتعارض العقل النظري مع العقل العملي وتتعارض الحياة النظرية مع الحياة السياسية والشهوانية في اللغة الحديثة لذا تقال بوجه خاص ولاسيما بالمعنى الإبستمولوجي على وجهات نظر أو مذاهب موضوعها النظرية وليس الممارسة[32].

---

[29] - كلنتون روستير، "خرافة الماركسية بين النظرية والتطبيق"، تر وتق: ماهر نسيم، دار الكرند للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة (مصر)، 1960، ص 41.

[30] - Lewis, John, "The life and Teachings of Karl Marx", The comelet press Ltd,1967. P.173.

[31]- Althusser, Louis," For Marx", translated by Ben Brewster, Allen Lane, 1969. P.35.

[32] - أندريه لالاند، "الموسوعة الفلسفية"، تر: أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت (لبنان)، مج 03، ط1، 1996، ص 1453.

وبـــددت حيـاة الماركسية منذ زمن طويـــل أية شكوك بصـــدد المركز الرئيسي الذي تنسبـــه إلى الإيديولوجية، فكـــل شيء عـن الشيوعية اليوم من مبلغ المال الذي ينفق على الدعايـة إلى إحياء الوعي بوصفه عاملا في السيكولوجيـا يؤيد ما لاحظه ستـالين [Staline[33]] من أن للأفكار مغزاها وأهميتهـا، وقد يضرب الماركسيون في داخل الإتحاد السوفييتي وخارجه على نغمـة الوحدة بين النظرية والتطبيق العملي، وقد يـرون في جمود أن قيمة الأفكار تنحصر في كونهـا ذريعة للعمل، وقـد يرفعون الصوت عاليـا مرددين شعـارات البيـان بصورة لا تزيد ذكاء عمـا يفعل الكثير مـن المسيحيين بالبحث عـن الحقائق الواردة في الإصحاحات 5-7 من إنجيل متى، نقـول إنه بالرغم من هـــذا لـم يظهر في التاريخ قوم عرفـــوا خيرا من الماركسيين أن الأفكـار أسلحة أو أن للأفكـار عواقب، وما من قوم منذ عهـد (الفلاسفة المدرسيين[34]) Scholastics على وجه التحقيق الذين كانـوا يتلاعبـون بالآيات المقدسة التي نادت بهـا أفكارهم لأول مرة، ومرة ثانية نستند على أقوال ستالين الذي يتحدث في هذه الفكرة بلســان الماركسي المؤمن فيقـول: «تستمد الماركسية اللينينية قوتها وسلامتهـا من كونها تقوم على نظريـــة راقية تعكس بصدق حاجـات تطور حيـاة المجتمع المـادية ومن أنهـا ترتفع بالنظرية إلى مستوى سليم، وترى من واجبهـا أن تستخدم كل ذرة مما في هـذه النظرية من قـوة التعبئة والتنظيم والتغير»[35].

يرد معظم تلامـــذة ماركس على هـــذه التهمة، تهمة النقص وعـدم الكفاية الفلسفية بقولهـم أن فلسفة الماركسية موجودة وإنهـا التصور المادي

---

[33] - جوزيف ستالين (1879-1953)، ولـد بجورجيـا من أب اسكافي انضم للحزب البلشفي سنة 1903 فنفي عدة مرات إلى سيبيريـا، لعب دورا كبيرا في إنجـاح الثورة البلشفية سنة 1917، قضى على معظم معارضيه بعد وفـاة لينين وأصبح رئيسـا للإتحـاد السوفييتي.

[34] - الفلسفة المدرسية scholasticism عبارة غامضة تطلق على البحوث الفلسفية التي قام بها رجال الدين الذين أرادوا استخـدام الفلسفـة لتـأييـــد العقيـــدة الدينيـــة على أسس منطقيـة. (المترجم)

[35] - روستير، مرجع سبق ذكره، ص 42.

للعالم، وهو التصور الذي يتكامل بفضل تقدم العلوم الطبيعية والجدل، ذلك هو الأساس الفلسفي لهذا العلم، علم التاريخ والسياسة الذي هو الماركسية، من هذا القبيل كتيب ستالين المسمى بـ المادية الجدلية والمادية التاريخية هو النموذج "الأمثل" لهذا التأويل، وبالرغم من أن بعض الفلاسفة الماركسيين تطرقوا إلى نقده إلا أنه يمكن القول أن فيه الحل الأكثر شيوعا حتى الآن للمسالة التي نحن بصددها، فما كان يعد بالأمس "إحكاما وضبطا" يبدو اليوم إفراطا في "التلخيص والتبسيط"، لكن ماهية التأويل تظل موجودة في الوجدان الفلسفي للمناضلين الماركسيين يعود إليه الشراح الذين يعرضون كنه الفلسفة الماركسية (...)، أما الماركسية أي المادية الجدلية فتنقسم إلى نقطتين: المادية وهي تأويل الواقع والمعرفة والجدل وهو طريقة تفكير أعلى من طريقة "الميتافيزيقا" التي لا تعير شأنا لتبعية الظواهر بعضها لبعض ولا لصيرورتها المستمرة المتميزة بتحويل الكمية إلى الكيفية تحويلا ثوريا والتي تجعل أيضا أن هذه الصيرورة، إنما تنشأ عن ولادة التناقض في ماهية الأشياء نفسها كما تنشأ عن نموه[36].

إن ما لاحظه هنري لوفيفر« بأن التطبيق العملي لأبحاث ماركس يأتي في مقدمة النصوص الفلسفية التي أسهم فيها ماركس، لأن الرفض القائم في فلسفة فيورباخ وقضايا هيجل هي التي كانت الدافع في فهم النشاط الثوري خاصة بما يتعلق بالأطروحات الأولى لفيورباخ »[37].

إن إرتباطية الفعالية (praxis) في لغة ماركس يعني ذلك رد الاعتبار لفهم النظرية وخاصة التطبيق العملي، هذا الفهم التأويلي الجديد الذي أبدعه ماركس من أجل بلوغ الصرامة العلمية والمنهجية مبنية أساسا على فهم العالم بطرق مختلفة.

---

[36] - جاك تكسيه، "غرامشي- دراسة ومختارات"، تر: ميخائيل إبراهيم مخول، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق (القاهرة)، ط1، 1972، ص 34-35.

[37]- Henri Lefebvre, op.cit,p 26.

فلكي يكون الإنسان ماركسيا من هذا الطراز يجب أن يكون ماديا، ولكي يكون ماديا من هذا النوع يجب أن ينكر إنكارا إمكانية وجود أية حقيقة خلاف المادة وأن ينكر مع لينين وبكلمة واحدة يجب أن يكون الماركسي ملحدا، إن اللاأدرية لا تكفي فالعلم لا الدين هو المعبد المقدس الذي يصلي فيه الإنسان الماركسي، فالماركسية تقول: إن فلسفة الماركسية اللينينية أي الأساس النظري الذي يقوم عليه الحزب الشيوعي لا تتفق مع الدين...إن نظرة الحزب عن العالم تستند إلى البيانات العلمية بينما الدين يناقض العلم، وإذ يقيم الحزب نشاطه على أساس علمي فلابد أن يقاوم الدين، ويبدو من المحق أن الدين يقاومها[38].

يعتقد البعض أن اللينينية هي تقديم النشاط العملي على النظرية بمعنى أن الأساس في اللينينية هو تطبيق المبادئ الماركسية هو تحقيق هذه المبادئ، أما النظرية، فاللينينية لا تهتم بها إلا بما لا يذكر، ومن المعروف أن بليخانوف تهكم أكثر من مرة على لا مبالاة لينين بالنظرية وخصوصا بالفلسفة (...)، في حين إن النظرية هي تجربة حركة العمال في كل البلدان هي التجربة مأخوذة بشكلها العام، ومن الواضح أن النظرية تصبح دون غاية إذا لم تكن مرتبطة بالنشاط العملي الذي يصبح أعمى إذا لم تنر النظرية الثورية طريقه[39].

ينطلق لينين من إعتبار الماركسية منهجا معرفيا لمكان وزمان محددين في إطار جدل العام/ الخاص وليس كعقيدة مكتملة ومنتهية، وبالتالي ليست هي فقط منفتحة على التطور والمعطيات المتغيرة، بل تمتلئ وتتساوق عبرهما، ولكن ما دامت غير مقتصرة على التفاعل مع الأزمنة المتحركة، بل ومع تنوع الأمكنة أيضا، ولهذين السببين أو العاملين بالذات فهي ماركسية

---

[38] - روستير، مرجع سبق ذكره، ص 75.

[39]- ستالين، "أسس اللينينية حول مسائل اللينينية"، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت (لبنان)، ط1، 1924، ص 30-31.

واحـــدة كعلـم وأسس فلسفية ومنهجية، إلا أنها وفي إطار ذلك التفاعل فهي تكون ماركسيات متعددة ومستقلة ومتمايزة عـن بعضهـا البعض، تمتلئ وتتشكل عبر توجههـا إلى مواضيع أزمنة وأمكنة متغـايرة ومتعـددة[40].

وهذا يعني أن الجـانب المعرفي - المنهجي- الفلسفي هـو أسـاس المـاركسية التي تمتد لتشكيل رؤيـة للواقع المخصوص عبر فهـم الروابط البنيوية داخـل المجتمع المعني، والتي تشبك جوانبه الاقتصـادية، الاجتماعية، السياسية والروحية في كلية تركيبية واحدة هي حصيلة جدلية لتفاعـل وتداخـل تلك العوامـل أثنـاء تواصل المجتمع المحـدد مع الطبيعة وعبر سيرورة تاريخية متداخلة في طبيعة المكان الجغرافية.

إن ذلك هـو الأسـاس الـذي يفسر الأهمية المركزيـة لدورالنظريـة في الفكر اللينيني: فلا يمكن أن يقوم حزب إشتراكي صلب إذا لم تكن ثمة نظريـــة ثوريـــة توحـد جميع الإشتراكيين ويستمدون منهـا جميع معتقداتهم ويطبقونهـا في أسـاليب نضـالهم وطرائق نشاطهم، وإذا ما دافعنـا عن هـــذه النظرية التي نعتبرهـا صحيحة في أعمق اعتقادنـا دون التهجمات الباطلة ودون محاولات تشويهـا، فان هـذا لا يعني البتة أننا أعداء كل انتقـاد طبعا، إن هذا هـو الذي يعطينا أبعاد انشغالاته الفلسفية العميقة، وهو القائد السياسي والمنظم الكبير كما نراهـا في الماديـــة والنظرية النقـدية التجريبية عـام 1908 الـذي رد فيـه على الفيلسوف النمساوي ارنست مـاخ[41] (Ernest Mach)، أو الدفـاتر الفلسفية عـام (1914-1915) الذي نرى فيه إهتماماته وفي أدق لحظات حيـاته

---

[40] - محمد سيد رصاص، "إنهيـار الماركسية السوفياتية"، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع سورية (دمشـق)، ط1، 1997، ص 80.

[41]- ماخ ارنست (1838-1916)، فيلسوف وفزيـائي وعالم نفسي نمساوي، درس حـركة الأجسـام بسرعتها معبرا عنها بسرعة الصوت.

السياسية حرجا وصعوبة وعزلة تمتد من هيراقليطس وأرسطو إلى ليبنتز وهيجل ...الخ[42].

يجزم أنجلز بأن نظريتنا ليست عقيدة، بل عرض لعملية تطور وهذه العملية تشتمل على أطوار متعاقبة، وأن يتوقع المرء من الأمريكيين أن يباشروا بوعي تام للنظرية التي وضعت في بلدان صناعية أخرى يعني أن يتوقع المستحيل، في حين يبدي رأيه حول ما يجب أن يفعله الألمان هو أن يتصرفوا حسب نظريتهم الخاصة إذا فهموها كما فهمناها في (1845و1848)، أن يذهبوا إلى أية حركة عامة حقيقية للطبقة العاملة ويقبلوا بمنطلقها(Faktische [43]) كما هو، ويرتقوا بها تدريجيا إلى المستوى النظري بأن يبينوا كيف أن كل خطيئة ترتكب، كل نكسة تعاني، قد كانت عاقبة ضرورية للآراء النظرية المغلوطة في البرنامج الأصلي، إن من واجبهم حسب كلمات البيان الشيوعي، لكن أعطوا قبل كل شيء الحركة الوقت كي تتوطد، لا يمكن التشويش الحتمي للبداية الأولى سواء بإجبار الناس على إبتلاع أشياء لا يستطيعون في الوقت الحاضر أن يفهموها بصورة مناسبة لكنهم سيتعلمونها عاجلا[44].

نلاحظ أن ما أكدت عليه الماركسية في الحقل النظري يبعد التحريف والزيف، لكن بمجرد ظهور مختلف الأحزاب والمنظرين الجدد بدأ الزيف وأخذ التأويل يرتقي إلى مصاف اللاعلمية، فمنهم من قال بأن الماركسية عقيدة جامدة، لكن البعض سلم بان الماركسية هي الأساس المقدس، فإذا كانت المسألة النظرية مع لينين وستالين نموذجا لهذه الفعالية في فهم تغيرات الماركسية وتجلياتها في لغة الفلسفة، فإنها ستطرح إشكالية العودة إلى ماركس أي فهم وتأويل ما كان يسعى إليه ماركس الحقيقي، هكذا ستصبح

---

[42] - رصاص، المرجع السابق، ص 81.

[43] - الفعلي.

[44] - ماركس وأنجلز، "مراسلات مختارة(1843-1895) "، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر، سوريا ، ط1، 1981، ص469.

المـاركسية لغة تتداول في أذهان الكثيرين، ولعل سلطة النقد التي غلفت الماركسية أسست لتعاليم أخرى في مسـألة النظرية وإمكـانية التطبيق، فإذا كانت الماركسية تعتمد كثيرا على قـوة الأفكـار لتشكيل سلوك النـاس ومجرى التاريخ فهو الـذي تنبأ (ماركس) بأن الفلسفة وهي الورشـة القديمـة التي صنعت فيهـا الأفكـار والملعب الـذي تبدلت فيـه، هـذا ما قاله ماركس وكانت حملتـه على ايديولوجيـة البرجوازيـة عملية رئيسية فـي الهجـوم الكبير الـذي شنه عـلى الرأسماليـــة والديمقراطية البرلمانيـة.